سيد الخلق بشر (١)(١)

رجل مضطرب العقيدة قلق الإيمان من أبناء السودان العظيم، أراد أن يهتدي من حيرته وتنقشع عنه ضلالته، فاستفتىٰ من ظنه عالمًا يهدي إلىٰ الحق: هل خلق الرسول مما خلق منه البشر؟ فأجابه العالم الخطير، والحبر الغير الجليل بهذه الفتوىٰ وملخصها:

١- إن العلماء في هذا الزمان أجمعوا علىٰ أن النور المحمدي خلق قبل العالم كله، وأنه لولا محمد ما خلق الله الدنيا(٢).

٢- وأنه قد ورد له فيما سماه مسند عبد الرزاق حديث جابر أن الرسول ﷺ قال له: إن الله خلق قبل الأشياء نور نبيك يا جابر(٣). وأنه لم يكن في ذلك الوقت لوح ولا قلم ولا جنة ولا نار ولا سماء ولا أرض ولا شمس ولا قمر ولا جني ولا إنسي.

٣- ويقول المتعالم أيضًا: إنه قد ورد في حديث سيدنا عمر: أن الرسول قال له: إن أول شيء خلق هو نوره(٤).

٤- ويقول: إنه ورد في صحيح الحاكم أن آدم عليه السلام رأىٰ اسم محمد ﷺ

---

(١) (٢-٣/ ١٣٦٨هـ).

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخه (٣/ ٥١٧)، من حديث سلمان رضي الله عنه. قال الدارقطني في الموضوعات (١/ ٢١٤): موضوع.

(٣) لم أجد من خرجه، ولكن قال الألباني في الصحيحة (٤٥٨): باطل.

(٤) قال صاحب الآثار المرفوعة ص(٤٣): لم يثبت.

مكتوبًا علىٰ العرش(١)، وأن الله عز وجل قال لآدم: لولا محمد ما خلقتك(٢).

٥- وفي حديث سليمان بن عساكر أن الله قال لمحمد: إنه اتخذ إبراهيم خليلًا، وإنه اتخذ محمدًا حبيبًا، وإنه خلق الدنيا ليعرفهم كرامة محمد ومنزلته، وإنه لولا محمد ما خلق الدنيا(٣).

هذا ملخص دقيق للفتوىٰ، وقد اطلع عليها أخونا الكريم السيد إسماعيل طاهر أحد أعيان الأبيض بالسودان، فأرسلها في خطاب كريم إلىٰ الأخ الكبير الأستاذ صادق عرنوس.

ولست أدري لماذا أراد الأستاذ الكبير صادق أن يعطي القوس غير باريها؟ فإنه تفضل مشكورًا وحولها إليَّ وأنا لست باري القوس، غير أني أستعين بالله فأقول: قال الله تعالىٰ: ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾ [النور: ٤٧-٥١].

ويقول الرسول الكريم ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتىٰ يكون هواه تبعًا لما جئت به»(٤)،

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٦٧٢) وقال الذهبي في الميزان (٤/ ١٩٩): خبر باطل.

(٢) هو جزء من الحديث السابق.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) سبق تخريجه.

ويقول: «**لا تطروني كما أطرت النصارىٰ المسيح بن مريم، إنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله**»[١] ومن ذلك ما أخرجه النسائي بسند جيد عن عبد الله بن الشخير قال: «انطلقت في وفد بني عامر إلىٰ النبي ﷺ فقلنا: أنت سيدنا. قال: **السيد الله تبارك وتعالىٰ**. قلنا: وأفضلنا فضلًا وأعظمنا طولًا. قال: **قولوا بقولكم أو بعض قولكم، ولا يستجرينكم الشيطان، أنا محمد عبد الله ورسوله، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل**»[٢]، ويقول للمرأة التي هابته: «**إنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد**»[٣].

هذا النور العلمي الإلهي يكشف عن القلوب ظلمة الكفر؛ ولكن (قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد)، فيأبىٰ بعض الناس إلا أن يجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق، وما كان تخريف هذا الرجل بحاجة والله إلىٰ مناقشة؛ لأنها قضية في مرتبة البداهة، وهي من الوضوح كالشمس وقت الزوال؛ ولكني أناقشه

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرج بعضه أبو داود، كتاب: الأدب، برقم: (٤٨٠٦)، من حديث عبد الله بن الشخير رضي الله عنه، وصححه الألباني في المشكاة (٤٩٠٠). أما قوله: «**أنا محمد عبد الله ورسوله...**» إلخ. فقد أخرجه النسائي في الكبرىٰ (١٠٠٧٨) من حديث أنس رضي الله عنه، وصححه الألباني في الصحيحة (١٥٧٢).

(٣) أخرجه ابن ماجه، كتاب: الأطعمة، برقم: (٣٣١٢)، من حديث أبي مسعود رضي الله عنه، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٠٥٢). ولكن في الحديث: «أتىٰ النبيَّ ﷺ رجلٌ فكلمه فجعل ترعد فرائصه...» وليس في الحديث أن امرأة هابته.

أساطيره مستهديًا ربي محتكمًا إلىٰ كتابه وسنة رسوله، فأقول: زعم الرجل في جرأة بالغة منكرة أن العلماء جميعًا مجمعون علىٰ أسطورته التي اختلقها، وهي أن نور محمد خلق قبل كل شيء ومنه خلق كل شيء، ولست أدري من أين جاء بهذه الفرية البالغة الكذب في الافتراء، فرية الإجماع، فليقل لنا الرجل: أقال بها أحد أصحاب الرسول؟ أقال بها أحد التابعين؟ أقال بها علماء الحديث؟ أفي البخاري ومسلم شيء من ذلك؟ أفي مسند أحمد؟ أفي كتاب من كتب السنة الصحيحة تلك الفرية البالغة؟ أقال بها أحد الأئمة الأربعة؟ ولا أقول له: أقال بها كتاب الله؟؛ لأن الرجل فيما يبدو لي يجحد كتاب الله، وإني لأتحداه أن يذكر لي قول عالم واحد لرأيه قيمة عند العلماء عن هذه الفرية، أتحداه أن يثبت لي ولو بوهم من حجة وجود ظن من هذا الإجماع؛ اللهم إلا إجماع المقلدين، الصم البكم العمي الذين لا يعقلون.

وسنذكر فيما بعد من كتاب الله وسنة رسوله الكريم ﷺ الدلائل القطعية البينة ما يؤكد لنا أن محمدًا ﷺ بشر خلق من سلالة من طين، وما ينقص هذا من قدر محمد عبد الله ورسوله العظيم الجليل شيئًا، بل إنه ليسمو به - وهو سام في ذاته - إلىٰ أبعد الآفاق من السمو الإنساني، فحسبه عظمة ذاتية أن يكون بشرًا من نطفة يختصه الله بالرسالة العالمية. و﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

أما حديث عبد الرزاق فمختلق موضوع لا أساس له، وأتحدىٰ الرجل وغيره من المخرفين أن يثبت لي غير ذلك، وأسأله: ما مسند عبد الرزاق الذي يتمشدق به؟ ومن عبد الرزاق هذا؟ ومن هم رواة الحديث؟

ومثل حديث عبد الرزاق الحديث الذي افتراه علىٰ عمر فإنه أيضًا موضوع كاذب، وهل يدلنا الرجل علىٰ كتاب من كتب السنة ورد فيه هذا الذي زعمه

حديثًا؟ وكذلك مثله حديث سليمان بن عساكر فإنه بيِّن الوضع بيِّن الكذب.

وقد فهم الرجل أن المحبة أعظم من الخلة، فوصف محمدًا ﷺ بأنه حبيب الله، في حين أن الخلة هي الدرجة القصوىٰ في المحبة؛ لأنها تتخلل القلب كله، وهذا هو الحديث الصحيح الذي ورد في ذلك المعنىٰ في صحيح مسلم عن جندب بن عبد الله قال: سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: «**إني أبرأ إلىٰ الله أن يكون لي منكم خليل، فإن الله قد اتخذني خليلًا كما اتخذ إبراهيم خليلًا، ولو كنت متخذًا من أمتي خليلًا، لاتخذت أبا بكر خليلًا**»(١).

ويقول الإمام ابن القيم: ثم الخلة وهي تتضمن كمال المحبة ونهايتها بحيث لا يبقىٰ في القلب سعة لغير محبوبه، وهي منصب لا يقبل المشاركة بوجه.

وهذا المنصب خاصة للخليلين صلوات الله وسلامه عليهما: إبراهيم ومحمد كما قال ﷺ: «**إن الله اتخذني خليلًا كما اتخذ إبراهيم خليلًا**» وفي الصحيح عنه: «**ولو كنت متخذًا من أهل الأرض خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا، ولكن صاحبكم خليل الله**(٢)»(٣).

بقي لنا من أساطير الرجل ما زعمه حديثًا رواه الحاكم؛ وإليك البيان عن قيمته:

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب: المساجد، برقم: (٢٣/ ٥٣٢)، من حديث جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) صـ(٢١٩) من كتاب: الجواب الكافي للإمام ابن القيم؛ ط مطبعة أنصار السنة المحمدية بتحقيق فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمد حامد الفقي.

(٣) أخرجه بهذا اللفظ مسلم، كتاب: فضائل الصحابة، برقم: (٦/ ٢٣٨٣)، من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

هو حديث غير صحيح ولا ثابت، بل هو حديث ضعيف الإسناد جدًّا، وقد حكم عليه بعض الأئمة بالوضع، وقد أخطأ الحاكم وتناقض تناقضًا فاحشًا كما عرف له ذلك في مواضع⁽¹⁾، وإليك الرأي في كتاب الحاكم: (ثم إنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ لما جمع المستدرك علىٰ الشيخين ذكر فيه من الأحاديث الضعيفة والمنكرة بل والموضوعة جملة كثيرة، ورویٰ فيه لجماعة من المجروحين الذين ذكرهم كتابه في الضعفاء وذكر أنه تبين له جرحهم)⁽²⁾.

أما وقد زيفنا ما ساقه الرجل من أساطير زعمها أحاديث، نتجه إلىٰ الرجل مرة أخرىٰ فنقول: إنه بين أمرين: إما أن يعترف أن محمدًا ﷺ بشري أو غير بشري؛ فإذا أنكر كون الرسول ﷺ بشريًّا فنقول له: اسمع أيها الرجل إلىٰ آيات الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه كتاب الله تعالىٰ.

محمد ﷺ بشر:

قال تعالىٰ في سورة الكهف: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [الكهف: ١١٠]؛ ويقول في سورة فصلت: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦﴾ [فصلت: ٦]، «وإنما» هذه تعتبر من أدوات القصر، والقصر إن قصد به تخصيص شيء بشيء دون آخر سمي قصر إفراد، ويخاطب به من اعتقد شركة صفتين أو أكثر في موصوف واحد، وهذا في قصر الموصوف علىٰ الصفة، ويخاطب به أيضًا من اعتقد شركة موصوفين أو أكثر

---

(١) صـ (٣٢) من كتاب الصارم المنكي.

(٢) ص(٣٣) من الصارم المنكي.

في صفة واحدة، وهذا في قصر الصفة علىٰ الموصوف مثل قولنا: ما زيد إلا كاتب، لمن يعتقد اتصاف زيد بالكتابة وبالشعر؛ ومثل قولنا: ما كاتب إلا زيد، لمن يعتقد اشتراك زيد وعمر في الكتابة. وإن قصد بالقصر تخصيص شيء بشيء مكان آخر مع اعتقاد المخاطب فيه العكس سمي قصر قلب، ويخاطب به من يعتقد عكس الحكم الذي ثبته المتكلم، فيكون المخاطب مثلًا بقولنا: ما محمد إلا بشر من يعتقد اتصافه بالملكية دون البشرية، أو الألوهية مكان الإنسانية. وبقولنا: ما خاتم النبيين إلا محمد. من يعتقد أن خاتم النبيين هو البهاء أو غلام أحمد مثلًا...

وهنا في الآيتين الكريمتين كانت أداة القصر ﴿إِنَّمَآ﴾. وهو قصر إفراد إذا اعتبرنا أن المخاطبين بها يعتقدون في محمد ﷺ البشرية والملكية، أو قصر قلب إذا اعتبرنا أن المخاطبين يعتقدون في محمد ﷺ أنه إله أو ملك؛ وعلىٰ الحالين: فالقصر هنا يؤكد لنا أن محمدًا رسول إنسان بشر فحسب، أو أنه بشر لا ملك ولا إله، كما يفهم بعض الجهلة المقلدين من الصوفية.

فهل يفهم الناعقون الحكمة في ورود الآيتين بهذه الصورة البلاغية المؤكدة لمعنىٰ البشرية في الرسول تأكيدًا بلغ الغاية، ثم إن الله تعالىٰ لم يترك المعنىٰ مؤكدًا بهذا التوكيد العظيم فحسب، بل أتبعه بتوكيد آخر يزيده تحكمًا في التوكيد، فقال: ﴿مِّثۡلُكُمۡ﴾ [فصلت: ٦]؛ ليقطع علىٰ الظنون سبيلها، فهو سبحانه يعلم أن الشيطان سيوحي إلىٰ أوليائه أنه بشر بناسوته، غير بشري بلاهوته؛ لأن هناك نوعًا من البشر خص بصفات أخرىٰ كما أوحىٰ ذلك لأوليائه في عيسىٰ بن مريم، فقطعت الآية العظيمة أنه بشري، وبشري مثلنا، خلق مما خلقنا منه ونشأ علىٰ ما نشأنا عليه فهو بشري، لا من نوع آخر، بل من نفس النوع المذكور في القرآن أنه خلق من

سلالة من طين، ومن نطفة، ومن ماء مهين، وقد أكد الله تعالىٰ هذا المعنىٰ في القرآن مرتين بهذه الصورة البليغة العالية من التوكيد...

فماذا بالله نقول بعدها لهؤلاء المخرفين الذين يتركون كلام الله لقول زنديق؟

وفي سورة الأنبياء حيث ينكر الكافرون النبوة يقول: ﴿هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الأنبياء: ٣]، وتفيد الآية الكريمة أيضًا معنىٰ القصر هنا بتوكيده ويقينه، ويقول في آية أخرىٰ في سورة الإسراء: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٣]، وفي الآية أيضًا معنىٰ القصر بروعته وتأكيده لمعنىٰ البشرية بكل خصائصها في الرسول الكريم ﷺ.

هذه الآيات القاطعة الدلالة تؤكد لنا بشرية عبد الله ورسوله محمد ﷺ، وأنه في البشرية ككل البشر خلقًا وحملًا وولادة، وحياة وموتًا، لا يمتاز عليهم إلا بصفة أخرىٰ ليست لها صلة مطلقًا إلا باختيار الله ورحمته وحكمته وهي الرسالة.

أفبعد هذا يصح لمن عنده أثارة من عقل أن يزعم أن محمدًا ﷺ غير بشر؟ أو أنه جزء من الذات الإلهية بانبثاقه نورًا منها، أو أنه هو أول تعين لها؟ قال القرآن: إنه بشر مثلنا، ويقول هذا المتعالم وأضرابه من زنادقة الصوفية: إنه ليس بشر مثلنا بل هو نوع آخر، أو أنه هو الله كما يصرحون به في كتبهم. فمن نصدق يا قوم؟ آمنا بالله وكتابه وعبده ورسوله محمد ﷺ. وكفرنا بالصوفية وعقائدها القذرة وإن زعمت زورًا وبهتانًا أنها متصلة بالإسلام، فما هي متصلة به إلا كاتصال الدمل، أو السرطان لإفساده، نسأل الله السلامة والعافية.

* * *

سيد الخلق بشر (٢)(١)

من أي شيء خلق البشر؟:

أما وقد ثبت بالأدلة القرآنية القطعية في دلالتها بشرية الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه، فنحب أن نذكر هنا ما قرره القرآن عن المادة التي خلق منها البشر جميعًا، أو التي خلق منها الرسول بصفة كونه من هؤلاء البشر، وسنذكر أكثر الآيات التي تعرضت لتقرير هذه الحقيقة البينة وإن كان في ذكرها تطويل للموضوع؛ حتىٰ تصدع الآيات هذه الأدمغة الجامدة بمعول الحق لعلها تفيق من جاهليتها.

يقول تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ مِنَ ٱلۡمَآءِ بَشَرٗا فَجَعَلَهُۥ نَسَبٗا وَصِهۡرٗاۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرٗا ٥٤﴾ [الفرقان: ٥٤]، ويقول: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٖ مِّن مَّآءٖۖ﴾ [النور: ٤٥]، ويقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ﴾ [الحج: ٥]، ويقول: ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ١ إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ٢﴾ [الإنسان: ٢]. والرسول مرت عليه كل هذه الأطوار، وذلك بين إلا عند من يزعم أن محمدًا ليس من الناس؛ ويقول: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ جَعَلَكُمۡ أَزۡوَٰجٗاۚ﴾ [فاطر: ١١]، ويقول: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ﴾ [غافر: ٦٧]، ويقول: ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلٗا ٣٧﴾ [الكهف: ٣٧]،

---

(١) (٤/ ١٣٦٨هـ).

ومحمد ﷺ رجل كذلك؛ أليس يقول الله: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ﴾ [يونس: ٢]، ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ (٢٠)﴾ [الروم: ٢٠]، ويقول: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ﴾ إلىٰ قوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُوا۟ خَٰلِدِينَ (٨)﴾ [الأنبياء: ٧-٨]، ولا تنس أن الآيات قطعت بأن الرسول ﷺ بشر مثلنا، ويقول الله: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ (٧) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ (٨)﴾ [السجدة: ٧-٨]. وقول الله تعالىٰ (بدأ) يقطع بأن المادة الأولىٰ التي خلق منها جنس الإنسان هي الطين ثم كان نسله سلالة من ماء مهين...

فأين في كلام الله الحقِّ النورُ الذي خلق منه محمد ﷺ أيها المتعالم؟ اللهم إلا إن جحدت بالحقيقة البديهية وهي أن محمدًا ﷺ إنسان.

هنا لا يجوز نقاشك بالقرآن، لأنك تجحده، إذ يقرر القرآن أن محمدًا إنسان ككل إنسان في خلقه، ويقول: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ (٢)﴾ [الأنعام: ٢]، ويقول مخاطبًا إبليس: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ (١٢)﴾ [الأعراف: ١٢].

فالذين ينكرون أن محمدًا ﷺ من سلالة آدم الذي خلق من طين إنما يؤيدون بضلالهم حجة إبليس في استكباره وكفره وعتوه، ويقول: ﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ (٧٥) قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ (٧٦)﴾ [ص: ٧٥-٧٦]، وإبليس يقدم نفسه في الذكر ويؤخر آدم احتقارًا لشأنه عنده، وكذلك أولئك الذين يجردون محمدًا من بشريته؛ إنما يريدون تصديق إبليس في زعمه، وتفضيله نفسه علىٰ آدم ؛، ويقول: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى

قَرَارٍ مَّكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (١٤) ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ (١٦)﴾ [المؤمنون: ١٢- ١٦]. ومحمد ﷺ إنسان مرت به هذه الأطوار، وهو من نسل آدم كما يقرون هم، وآدم من طين، وهم يقرون أيضًا بأن عبد الله تزوج بآمنة، فأولدها محمدًا ﷺ بعد تسعة أشهر كان فيها نطفة ثم علقة فمضغة، ثم كسي عظامًا، ثم كسيت العظام لحمًا، ثم أنشأه الله خلقًا آخر بشرًا سويًّا.

هذه حقائق يقرون بها، فأين آية النور الذي منه خلق محمد ﷺ كما يهرفون؟ ويقول: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ (٧١)﴾ [ص: ٧١]، ومحمد ﷺ بشر من نسل بشر، ويقول: ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَا ۚ إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ (١١)﴾ [الصافات: ١١]، ويقول: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا (٦١)﴾ [الإسراء: ٦١]

وهؤلاء الناس يتلمسون المعذرة لإبليس؛ لهذا جردوا الرسول ﷺ من بشريته، تفاديًا لحجة إبليس الصادقة عندهم؛ فكأنهم يقولون له: يا إبليس، بيدك الحق إذا لم تسجد لآدم، إذ هو من طين وأنت من نار والنار أشرف من الطين. ولكن هذا رسولنا ليس من نسل آدم، بل هو من نور، فنحن لا نعيب رأيك ولا كفرك، وإنما نتلمس لك العذر في جحودك وكفرك، ويقول تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٢٦)﴾ [الحجر: ٢٦]، ويقول: ﴿إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٢٨].

بعد هذا نقول: ثبت من هذه الآيات أن المادة الأولىٰ التي خلق الله منها البشر هي الماء، ثم مزج التراب بالماء، فكانت الطينة التي منها خلق آدم، ثم مكث الطين

حتىٰ صار صلصالًا، أي: طينًا يابسًا، وقطعت الآيات أيضًا أن سلالة آدم كلها من لدن خلقه إلىٰ يوم يبعثون، يخلقون من نطفة؛ وقد قطعت الآيات السابقة أن محمدًا ﷺ بشر مثلنا، وأنه من سلالة آدم، فثبت إذًا أن محمدًا ﷺ خلق من نطفة خلقًا مباشرًا، أو من طين إذا نظرنا إلىٰ الخلق الأول.

ونضعها هكذا في صورة قياس منطقي: محمد ﷺ بشر، وكل بشر خلق من طين، إذًا محمد خلق من طين؛ دليل القضية الأولىٰ، وهي قولنا: محمد بشر. قول الله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [فصلت: ٦]، والآيات التي معها، ودليل القضية الثانية قوله تعالىٰ: ﴿إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ [ص: ٧١] والآيات التي معها.

أو نضعها في صورة قياس منطقي آخر هكذا: محمد ﷺ بشر؛ وكل بشر خلق من نطفة، إذًا محمد ﷺ خلق من نطفة، والأدلة علىٰ ذلك هي الأدلة علىٰ القياس الذي قبله، مع إضافة الآيات الكريمة التي تقطع بأن كل إنسان خلق من نطفة.

وما يجوز لعاقل، بل حتىٰ لشبه العاقل، أن يزعم بعد هذا أن الرسول ﷺ خلق من نور، أو، أو، من كل هذه الزندقات الكافرة.

يقول رب العالمين: أن محمدًا بشر مثلنا، وأن البشر خلقوا من طين...

فمن تصدقون إذًا يا قوم إن كنتم تكذبون الله ورسوله؟!

والله تعالىٰ يقول للرسول: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٩].

فهل خلق الرسل أيضًا جميعًا من النور كما خلق محمد؟...

إنهم لا يقولون هذا، بل يقرون معنا أن الرسل جميعًا خلقوا من نطفة، فكيف يكذبون بعد ذلك قول رب العالمين أن الرسول ليس بدعًا من الرسل، بل هو مثلهم، وأن من الواجب عليهم أن يصدقوا كل ما ورد في القرآن، ولكنهم يؤمنون ببعض

الكتاب ويكفرون ببعض، والله تعالىٰ يقول مخاطبًا اليهود والنصارىٰ حين زعموا بما أوحىٰ إليهم الشيطان، كما أوحىٰ لخلفهم، مما حكىٰ الله عنهم، إذ قال: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة: ١٨]، فقال لهم نقضًا لدعواهم الباطلة: ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾ [المائدة: ١٨].

ومن عجب أن يعترف بعضهم أن محمدًا ﷺ بشر، ولكنه خلق من نور، فهذا تصديق لله من ناحية أنه بشر، وتكذيب لرب العالمين من ناحية أن البشر لا يكون إلا من طين، فإما أن يكذبوا الكل أو يصدقوا الكل.

تلك هي الحقيقة التي يجب أن يتمسكوا بها، ولكنهم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله إذا احتكموا إليهما.

حجتنا من السنة:

ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ قوله: «**إن الله خلق الملائكة من نور، وخلق إبليس من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم**»(١). فالذين خلقوا من نور هم الملائكة، فهل الرسول ملك؟ إن الذين كانوا يطالبون بمثل هذا هم المشركون، ولهذا رد الله عليهم بقوله: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَـٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَـٰهُ رَجُلًا﴾ [الأنعام: ٩]، فليس الرسول بملك، بل حتىٰ علىٰ فرض أنه لو كان ملكًا لجعله الله رجلًا حتىٰ يستطيع البشر الفهم عنه؛ ولوضوح قصة خلق آدم في القرآن، وخلق نسله ومم خلقوا، أحال الرسول سامعيه علىٰ كتاب الله الذي وصف خلق آدم أبي البشر، فماذا نقول بعد ذلك؟

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب: الزهد والرقائق، برقم: (٦٠/ ٢٩٩٦)، من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

رقمه
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

سيد الخلق بشر (٣)[1]

المخلوق الأول:

يذكر الرجل في فتواه الضالة المضلة: أن أول شيء خلق هو نور محمد ﷺ؛ ولكن هذه الأسطورة تخالف قول الله الحكيم الصادق، وقول رسوله الكريم وإليك الآيات:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٧]، فأين النور المحمدي الذي هو أول مخلوق كما يفترون على الله؟

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾.

[الأعراف: ٥٤]

ويقول في يونس: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [يونس: ٣].

ويقول في الفرقان: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الفرقان: ٥٩].

ويقول في السجدة: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [السجدة: ٤].

وروى البخاري في صحيحه، من حديث عمران بن حصين، قول الرسول: «**كان الله ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، ثم**

---

[1] (٥/١٣٦٨هـ).

خلق السموات والأرض»(١).

وروىٰ الإمام عثمان بن سعيد الدارمي في مصنفه في الرد علىٰ الجهمية حديثًا عن ابن عباس قال: «إن الله كان علىٰ عرشه قبل أن يخلق شيئًا، فكان أول ما خلق الله القلم، فأمره أن يكتب ما هو كائن وإنما يجري الناس علىٰ أمر قد فرغ»(٢)، ورواه أيضًا أبو القاسم اللالكائي في كتابه في شرح أصول السنة(٣).

وروىٰ أبو داود والترمذي وغيرهما، عن عبادة بن الصامت، عن النبي ﷺ أنه قال: «**أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب. قال: ما أكتب؟ قال: ما هو كائن إلىٰ يوم القيامة**»(٤).

وفي صحيح مسلم أنه قال: «قدر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه علىٰ الماء»(٥).

ولكن السلف كما يقول ابن تيمية(٦): متنازعون في الذي خلق أولًا القلم أو

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: بدء الخلق، برقم: (٣١٩١)، من حديث عمران بن الحصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه الدارمي في الرد علىٰ الجهمية (٤٤)، والآجري في الشريعة (٢/ ٧٧٠) عن ابن عباس موقوفًا وله حكم الرفع، وصححه الألباني في مختصر العلو ص(٧٥).

(٣) (الصواب) شرح أصول اعتقاد أهل السنة. (ض).

(٤) أخرجه أبو داود، كتاب: السنة، برقم: (٧٤٠٠)، من حديث عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٠١٨).

(٥) أخرجه مسلم، كتاب: القدر، برقم: (١٦/ ٢٦٥٣)، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٦) صـ (٤١) من رسالته السبعينية.

العرش. وقال: الأحاديث الصحيحة تدل علىٰ أن العرش هو المخلوق الأول، وأن القلم هو أول ما خلق الله بعد ذلك من العالم الذي ذكر عنه أنه خلقه في ستة أيام.

تظاهرت الآيات والأحاديث الصحيحة علىٰ أن نور محمد ليس هو الخلق الأول كما يزعم المتعالم وغيره، فمن أين جاء الرجل وأمثاله بهذه الأسطورة الواهية أن النور المحمدي قديم وأنه أول ما خلق؟ إن ما في كتاب الله وسنة رسوله يهدم هذه الفرية الكاذبة. فهل نبني كفرًا هدمه الله؟

من أي شيء خلق العالم؟:

يزعم الرجل في جرأة بالغة أن كل شيء خلق من نور محمد. ولكن القرآن، يقول: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ﴾ [الأنبياء: ٣٠] فكل شيء فيه حياة فهو من الماء، لا من نور محمد ﷺ الذي يبرأ من هؤلاء الكذبة الفجرة، ويقول: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ﴾ [فصلت: ١١] وهو بخار الماء كما فسره بعض الأئمة، فتكون السموات من دخان لا من نور محمد كما يزعم، أما الأرض فمن ماء وتراب كما هو بين، أما الجن فمن نار، أما الملائكة فمن نور، أما البشر جميعًا فمن الماء والتراب والريح الذي أيبسه حتىٰ صار صلصالًا ثم من نطفة أمشاج.

فأين يا شيخ ذلك النور المحمدي الذي تزعم أن الله خلق منه الكائنات؟

لن أفقد إيماني وعقلي فأصدقك وأكذب الله ورسوله من أجل أساطيرك وزندقتك!

لماذا خلق العالم ولمن خلق؟:

ويقول الرجل وأمثاله: إن الله خلق العالم من أجل محمد وليعرف العالم بمنزلة محمد وكرامته، ولكن الله تعالىٰ يقول: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦]، ويقول: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ

أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: ١٢].

ولهذا يقول ابن القيم(١) معلقًا علىٰ هذه الآيات:

(فأخبر سبحانه أن القصد بالخلق والأمر أن يعرف بأسمائه وصفاته ويعبد وحده لا يشرك به، وأن يقوم الناس بالقسط وهو العدل الذي قامت به السموات والأرض كما قال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥]).

فيتجلىٰ لنا من هذا أن الله خلق العالم لا من أجل نبيه يا شيخ، ولا ليعرفهم منزلة محمد وكرامته، وإنما لما هو أجل وأسمىٰ، لكي يعرف الناس ربهم بأسمائه وصفاته وليعبدوه وحده لا شريك له، فهل تصدق القرآن معنا؟

بقي قوله: إن الله خلق العالم من أجل محمد. ولكن الله تعالىٰ يقول: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾﴾ [إبراهيم: ٣٢-٣٣]، ويقول: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩]، فهو إذًا قد تفضل سبحانه وتعالىٰ فخلق العالم رحمة منه لبني الإنسان، وهو ما يفيده قوله: «لكم، جميعًا» لا من أجل الرسول ﷺ وحده.

المنكرون لنبوة البشر:

في كل عصر وجد ناس من أمثال هذا الشيخ، وهم صنفان: أحدهما يكذب أن يكون من البشر رسول، وثانيهما يغلو في الرسول - وقد آمن برسالته كما

---

(١) صـ (١٤٦) من كتاب: «الجواب الكافي» مطبعة السنة المحمدية.

يزعم- فيعتقد أنه غير بشر؛ ومن هنا تمشيخ الصوفية ولبسوا العمائم الكبيرة الخضراء أو الحمراء أو السوداء، وملابس فخمة ضخمة فضفاضة ليشعروا دراويشهم أنهم ليسوا مثلهم، واسمع ما قال قوم شعيب: ﴿وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثۡلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ [الشعراء: ١٨٦]، وقال أصحاب القرية في سورة يس: ﴿مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٌ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ﴾ [يس: ١٥]، وفي سورة التغابن: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٞ يَهۡدُونَنَا فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْۚ وَّٱسۡتَغۡنَى ٱللَّهُۚ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٞ ٦﴾ [التغابن: ٦]، ويقول الله: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ﴾ [الأنعام: ٩١]، والقرآن، يحدثنا أنه ما من نبي إلا رد عليه قومه الكافرون هذا الرد، واستنكروا أن يكون بشرًا رسولًا؛ لأنهم زعم لهم شياطينهم أن أولياءهم الذين اتخذوهم وسطاء بينهم وبين الله كانوا فوق البشرية، حتىٰ بالنور والسر الذي فاض من الرب، ولذا كانوا وسطاء بين البشر والرب، وهكذا في كل عصر يوجد أمثال هؤلاء، غير أن الذين في عصرنا اليوم أشد كفرًا من أولئك؛ لأن المشركين لم يستطيعوا إنكار ما يعترف به الحس وتؤمن به البداهة، وهو أن الرسل بشر، أما هؤلاء فأنكروا بشرية محمد وقالوا عنه وقالوا، حتىٰ قالوا: إنه الله! تعالىٰ الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

خاتمة:

أطلنا، ولنا العذر في أننا لا نخاطب الرجل وحده، وإنما نخاطب الكثير هنا في مصر وفي غيرها من البلدان، فهم علىٰ مثل عقيدة الرجل؛ لأنها عقيدة الصوفية الخبيثة التي عمت الفتنة بها، وقل السالم منها ولعل الله يوفقنا فنكتب مقالًا عن (الحقيقة المحمدية عند الصوفية) وإن كنا قد أشرنا إليها في أول مقال لنا عن الطواغيت. اللهم اهدنا وجنبنا الزلل، ووفقنا برحمتك إلىٰ ما فيه الخير واهدنا صراطك المستقيم.